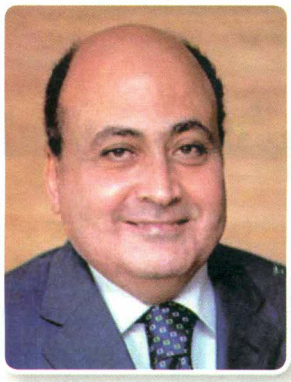

أسامة سرايا

ديمقراطية وحيد عبدالمجيد وفسطاط بايدن

دعا الرئيس الأمريكى بايدن 100 قائد أو رئيس من عالمنا، اختارتهم بلاده بمعاييرها إلى قمة افتراضية يوم 9 ديسمبر، ليقول لهم: "نحن نحب الديمقراطية" ومن منا لا يحب الديمقراطية، لكن لكل منا ديمقراطيته، لكنه اهتم بدرجة تحرك بلاده فى سلم الديمقراطية، الذى وضعته أمريكا والغرب الليبرالى.

أكيد كل دولة فى عالمنا، تساءلت أين الحزب؟ ولماذا لم يدع باقى الدول لهذه الوليمة الديمقراطية؟

هو ببساطة سؤال طبيعى، إذا كان جادا فى دعم الديمقراطية، أو كان مستعدا لذلك فى المستقبل - حيث طرحت خلال القمة مبادرة للتجديد الديمقراطى، بل وخصصت 424 مليون دولار لهذا الهدف، أو تلك الغاية الغامضة - فكان أولى أن تكون الدعوة شاملة، ليأخذ كل نصيبه من هذا الدعم.

فلا نقسم العالم إلى "فسطاطين"، أحدهما ترضى عنه، وتعطيه الشهادة الديمقراطية، والآخر بعيد عنك وأنت تسعى لضمه إليك وتهدده بالغياب، إلا لو كان لك هدف آخر قبل تكوين معسكر سياسى ضد "الصين أو روسيا" أو أن ترسل رسالة أنك صاحب نموذج، وأن الآخرين هم أعداء النموذج، ومن يسير معهم أو حولهم، الذى أطلقت عليه الديمقراطية الغامضة.

كان مؤتمر بايدن مضحكا للغاية إلى حد كبير، فقد جاء فى وقت أطلق عليه الأمريكيون الديمقراطية تحتضر فى واشنطن، والبلاد منقسمة بشكل حاد، لم يمر على أمريكا منذ استقلالها حتى الآن، وإلا ماذا يعنى أن منافسه ترامب، الجمهورى لم يعترف حتى الآن بهزيمته فى الانتخابات الأخيرة التى فاز بها الديمقراطى بايدن، ولا ننسى الهجوم الكاسح الغوغائى على الكونجرس، كما أن الدهشة الأمريكية وغيرها شملت ضيوف المؤتمر.

ومن الشرق الأوسط "حضر العراق وإسرائيل" والتساؤلات حولهما كثيرة حتى لدى المنظمات الدولية، العراق تحت السيطرة الإيرانية والميليشيات والمجتمع فى حالة عسكرة، ولم يشف بعد من الاحتلال الأمريكى، وإسرائيل تقمع الشعب الفلسطينى، ويطلقون عليها بلاد الأبارتهايد الجديد، وباقى القائمة لا نريد أن نشكك فيها، بينما غابت روسيا والصين اللتان وجهتا للمؤتمر تساؤلات منطقية لم يجب عنها أحد، بل وجه المؤتمر اتهامات لنظامهما السياسى وغيابه عن التمثيل الشعبى.

وبرغم اعتراف القمة بأنه لا توجد روشتة واحدة للديمقراطية، وأنه لا توجد ديمقراطية مثالية، بما فى ذلك الولايات المتحدة، واعترف بايدن بأن الحكومات حول العالم تعانى أشكالا من التراجع الديمقراطى. وأنه سيدعو فى العام المقبل إلى قمة مختلفة من نشطاء وصحفيين، لكى يستمع إليهم.

فجأة وجدت أمامى دراسة فى كتاب مصرى، كتبها د. وحيد عبدالمجيد، الباحث المصرى الجاد والمرموق، رئيس مركز دراسات الأهرام الأسبق، وكاتب عمود فى صحيفة الأهرام اليومية بعنوان "ديمقراطية القرن الحادى والعشرين"، ليعرف الرئيس الأمريكى ومريدوه أن فى بلادنا ديمقراطيين حقيقيين، وأننا نسعى لإقامتها فى مصر والشرق العربى والإسلامى، وأن المصريين عندما هبوا فى 2013، لطرد المتأسلمين من الحكم الذين ركبوا قطار الصندوق الانتخابى، فى ظل غياب البنية الأساسية للنظام الديمقراطى الحقيقى، كانوا ديمقراطيين حقا بل ديمقراطيون جدا، لأنه لا يستطيع إقامة نظام ديمقراطى تحت رفع شعارات دينية ديماجوجية، أو تحت ظلال تنظيمات فاشية، وانتخبوا رئيسا بالإجماع الوطنى، ويسعون لبناء نظام ديمقراطى حقيقى.

د. وحيد عبدالمجيد قدم قراءة علمية منهجية لأزمة النظام الديمقراطى التمثيلى ومستقبله المفتوح على إدخال بعض آليات الديمقراطية المباشرة فى صلبه.

وتوقع د. عبدالمجيد أن يولد فى رحم الأزمة الراهنة ويمتزج فيها التمثيل السياسى بالمشاركة المباشرة والكاملة للمواطنين الناخبين، بما يجعلهم قادرين على التأثير والتغيير طول الوقت، وليس فى وقت الانتخابات فقط. هذا المزيج من الديمقراطية التمثيلية والمباشرة، هو طابع ديمقراطية القرن الحادى والعشرين، الذى يشرح الكاتب بمنهجية وحس سياسى مرهف، كيف سنتطور تدريجيا خلال عقود قليلة.

> اعترف بايدن بأن الحكومات حول العالم تعانى أشكالا من التراجع الديمقراطى. وأنه سيدعو فى العام المقبل إلى قمة مختلفة من نشطاء وصحفيين، لكى يستمع إليهم.

ورصد فى مجموعة من الدراسات التى كشفت الديمقراطية العرجاء نتيجة تزايد الاختلالات فى الساحة السياسية فى الدول التى قطعت أكبر شوط فى ممارسة هذه الديمقراطية إلى جانب تأثير الثورة الرقمية، وشرح كيف تموت الديمقراطيات، وكيف ننقذها قبل أن تتحول إلى تاريخ فى حالة تفاقم أزماتها، والعجز عن معالجتها، خصوصا فى ظل توسع نطاق النظم التسلطية فى العالم.

ولم ينس "الشعبويات" التى تطلق الرصاص على الانتخابات الديمقراطية.

دراسة د. وحيد تحتاج إلى ترجمتها وإرسالها إلى مؤتمر بايدن المقبل، حتى ينقذه أو ينقذ النظام الديمقراطى، وليكن سبق المحاولة الجادة لباحث ومدقق مصرى. وكثيرا ما أنقذ المصريون بأفكارهم وطموحاتهم، وهم بناة الحضارة القديمة ومجددوها، أنقذوا عالمهم وقدموا أفكارا جديرة بالدراسة والفحص للإنسانية.

ديمقراطية وحيدة عبد المجيد وقراءته بتمعن، أنقذتنى من البحث وراء مؤتمر عقد بأمريكا وهو مؤتمر فاشل، لم أجد فيه نفعا سواء لأمريكا أم لعالمها، أم للديمقراطية نفسها، لكنه جاء تعبيرا عن الفشل المتكرر، والارتباك الذى تعيشه السياسة الأمريكية فى مرحلتها الراهنة، ومازالت تبحث عن الطريق الجديد فى أكثر من مجال، وليس الديمقراطية وحدها، التى هى فى أزمة لكنها تعبير عن أزمة أكبر.